عنوان البحث: القضية الحسينية موتيف متجدد في الشعر– العربي نماذج مختارة

الباحث: أ. د. فرحان بدري كاظم الحربي

بريد الكتروني: hum.farhan.badrri@uobabylon.edu.iq

عنوان الباحث: كلية التربية للعلوم الانسانية_ جامعة بابل/ العراق

The Husseini Cause as Renewable Motif in Arabic Verse: A Study in Selected Poems

Professor Farhan Badri Kadhum al-Harby, Ph.D.
Babylon University, College of Education for Humanities

hum.farhan.badrri@uobabylon.edu.iq

Abstract

This research aims to reveal the impact of the Husseini cause, with its emotional, religious, political and social humanitarian dimensions, on some selected examples from different eras of Arabic poetry, as an artistic motif, and to detect the transformations of this cause from the hypothesis of its belonging to the purpose of the poetic genre of elegy. The elegy is transformed into an artistic genre with renewable intellectual and artistic dimensions, in addition to its transformation from a mere emulation of the tragedy to the possibility of carrying transcendental symbolism such as revolution and heroism, whether in connection with the religious dimension or outside it. The present paper seeks to diagnose the logical and moral points of departure in the issue of confrontation with injustice and tyranny as portrayed by poets. The research takes the path of inference and conclusion in an attempt to reveal what this motif carries as a function or motive, or a situation or narrative event, or an idea or a linguistic phrase of the artistic charge of emulating the narrated, reported or imagined about this cause.

Keywords: Motif, Husseini Cause, Arabic Poetry, narrative event, theme.

ملخص

يتوجه هذا البحث الى كشف أثر القضية الحسينية، بأبعادها الإنسانية الوجدانية والدينية والسياسية والاجتماعية، في نماذج مختارة من عصور مختلفة من الشعر العربي، بصفتها موتيفاً فنياً، ومتابعة تحولات كينونتها من فرضية انتمائها الى غرض الرثاء ضمن أجناس الشعر الى قيامها بصفتها

نوعاً فنياً ذا أبعاد فكرية وفنية متجددة، فضلاً عن مساءلة مسار تحولها من مجرد استيحاء المأساة الى امكانية حملها رمزية متعالية مثل الثورة والبطولة و التضحية سواء بارتباطها بالعامل الديني او خارجاً عنه، وتشخيص المنطلقات المنطقية والأخلاقية في قضية المواجهة مع الظلم والاستبداد كما صورها الشعراء، وقد سلك البحث سبيل الاستدلال والاستنتاج في محاولة كشف ما يحمله الموتيف بصفته دالةً او حافزاً، او موقفاً او حدثاً حكائياً أو فكرة او عبارة لغوية، من حمولة فنية في استيحاء الحدث المروي اوالمنقول او المتخيل عن هذه القضية.

مقدمة

هدف العمل في هذا البحث من خلال التحليل والاستدلال هو تشخيص الحافز او الفكرة المؤثرة في انتاج النصوص في النماذج الشعرية المختارة وربط المثيرات الرؤيوية بما يحيط بها من عوالم مادية وفكرية لقراءة الصور الابداعية المستوحاة من لقضية الحسينية وتشخيص انواعها سواء كانت وحدات لغوية او مقولات تاريخية او مرويات اومثيولوجيا شعبية مما ترسخ في الذهن الجمعي للامة فصار مثيرا لمخيلة الشعراء الابداعية.

وبسبب اتساع الموضوع ولكثرة المتن الشعري المنتج في هذه الميدان بامتداده الزمني عبر العصور، توجهنا الى اختيار ما كان منها اكثر شهرة في الموروث، ومما وقع بأيدينا من الشعر الحديث والمعاصر، مما وجدناه يتمثل الموتيف بتلك الابعاد المذكورة ويعيد انتاجه، وقد عمل هذا البحث في ثلاثة محاور، يسبقها تمهيد نظري في مصطلح الموتيف ومفهومه، ثم ختم بتسجيل النتائج وثبت للمراجع والمصادر وقد جاءت بالشكل التالي:

- المحور الاول: موتيف القضية الحسينية في الشعر العربي الموروث: يتناول نماذج لشعراء من العهدين الاموي والعباسي فضلا عن انموذج من الشعر الاندلسي.
- المحور الثاني: موتيف القضية الحسينية في الشعر العربي الكلاسيكي الحديث و المعاصر. يتناول نماذج لشعراء من القرن الثالث عشر الهجري، الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي وما بعده الى اليوم.
- محور الثالث: موتيف القضية الحسينية في شعر الحداثة والتجديد في الشعر العربي المعاصر، اذ يتناول موتيف القضية الحسينية في امثلة مختلفة اومغايرة من الشعر العربي المعاصر منذ بداية القرن الرابع عشر للهجرة الموافق للقرن العشرين الميلادي الى اليوم.

تمهيد نظري

يمكننا في البداية الاشارة الى معنى الموتيف ومفهومه بدءًا بالمعنى المعجمي فهو يعني الدالة، و بالفرنسية (Motif) يعني الحافز والفكرة [علوش1985م/ 285].

وفي الاصطلاح يأتي بمعنى دالة، او موقف او حدث قصصي او فكرة او صورة نمطية أو عبارة لغوية او نمط معين من الشخصية مما نجده ماثلاً او متكرراً في الأعمال الأدبية والحكايات الشعبية والأساطير ووظيفته ان يثير حالة قد تؤدي الى التعرف الى فكرة ما او الكشف عنها، او يكون شاهداً على وضع معين او رمزا يحمل قضية [العالمية/ 26-7-2020] . وهو في هذا كله يحدد موقفاً معيناً، كالثورة على سبيل المثال، او يمثل موقفاً سياسياً غير شخصي[العالمية/ 26-7-2020] ، وهو ما قد نجده في مثل قضية قطع رأس الحسين عليه السلام.

كما ان الموتيف قد يمثل فكرة في العمل الأدبي وهي تمثل "خلفية مفهوم واسع، يحدد إما موقفًا معينًا، على سبيل المثال الثورة، أو موقفًا أساسيًا غير شخصي لم يتم تخصيص ممثليه بعد". ومثال ذلك فكرة " القلب المأكول " التي تظهر في أدب العصور الوسطى في سلسلة من الأعمال، ومن المهم في رأي " كلاوبر" التمييز بين الفكرة والموضوع، ففي الاستعارة الموسيقية مثلاً: "الموضوع يقدم اللحن بأكمله، والفكرة تحدد وترًا واحدًا. والدافع، يجب أن يتضمن صراعًا معينًا، و يمكن للفكرة أن تكون بمثابة معيار، ويمكن أن تؤكد على نمط البناء لعمل واحد، عندما يتكرر بانتظام ويرتبط بموقف أو شخصية معينة، حتى تتحول تلك الفكرة إلى مهيمنة [كلاوبر، د ت. MOTIF poétique] ، دلالية في العمل.

يثير مفهوم الفكرة أيضًا اهتمام الشكلانيين وعلماء الأعراق والفولكلور الروس، لأنه يسمح لهم بتفكيك الروايات التي كانت بعيدة المنال في عدم تجانسها وصولاً إلى "الذرات". وبالنسبة لتوماتشيفسكي، فإن الفكرة موجودة في المقترحات أو الذرات السردية التي تحكم سير القصة [كلاوبر، د ت/ MOTIF poétique] ، وقد يرد المصطلح عند" توماتشيفسكي" بصيغة الحافزية، وتنقسم بحسب رأيه الى: تركيبية وواقعية وجمالية، و الحافزية عنده محصورة في الخطاب[علوش1985م/70].

هناك من يرى في الموتيف دلالة نفسية تشير الى أثر انفعالي، وهذا يتأتى من تركيز الفنان او الشاعر عليه وتكراره بحيث يفصح عن أثر مهم في صوره ورموزه الفنية المستوحاة من أثر إنساني خالد او شاخص روحي يلح على مخيلته [إسماعيل، 1972م 166].

نخلص من ذلك الى اننا يمكن ان ننظر الى الموتيف بوصفه الحافز او الباعث الذي يتكرر في الادب عند مجموعة غير محدد من الادباء وفي عصور مختلفة، فيكون الفكرة الرئيسة في العمل الادبي، او يظهر بشكل مفردة مكررة تحمل دلالات وإيحاءات رمزية وثيقة الصلة بنفسية الشاعر و توجهاته وآرائه [خضري، 2021م، 28]، بشرط لايكون التكرار لمجرد كونه تكراراً بحيث يوهم انه ظاهرة اسلوبية، فالمقصد هو استيحاء الفكرة المحفزة واعادة انتاجها لتكون الفكرة المهيمنة منتمية الى نمط معين في الفن والابداع،

بحيث يمكن ان يتحقق هذا المفهوم مع تعدد مشارب الادباء وتنوع اتجاهاتهم الفكرية، وهو ما نتوجه الى دراسته وكشفه.

نشير في هذا الموضع الى ان من المشكلات التي قد يقع فيها بعض الباحثين هي عدم الدقة في فهم المصطلح وذلك ما حصل في فهم الموتيف والتعامل معه نقدياً عند كل من الباحثين: علي خضري، وأمنة أبكَون، و رسول بلاوي، اذ رأوا أن الموتيف هو تكرار عنصر ما لدى الأديب ولخصوا مهمتهم في محاولة معرفة ما يتبعه من اثر انفعالي يتركه النص في نفس المتلقي[خضري، 2020/ 27] ، ومثله ما وقع فيه الباحث نعيم عموري ، اذ عرف الموتيف بانه تكرار الكلمة او المقطع او الفكرة بحيث تشكل ظاهرة عند الاديب يحاول الدارس التعامل معه من خلال دلالة هذا التكرار[عموري،2015 /134-134].

وهذا مجانب للصواب فالموتيف لا يعنى بالمتلقي بقدر عنايته بالمبدع المؤلف او الشاعر، وكينونة العمل الادبي، كما انه ليس مجرد تكرار لفظي.

المحور الاول: القضية الحسينية في الشعر العربي الموروث

يتناول نماذج لشعراء من العهدين الاموي والعباسي في القرن الاول وما تلاه الى القرن الخامس للهجرة، فضلا عن نموذج من الشعر الاندلسي وقد مثّل فيه للشعراء:(الكميت 126 هـ، السيد الحميري 173هـ, دِعبِل بن علي الخزاعي 246هـ، الشريف الرضي 406هـ) ، ومن الشعر الاندلسي (صفوان بن ادريس توفي 598)

أكثر ما يحضر الى الذهن عندما تذكر القضية الحسينية هو شعر الرثاء الحسيني الذي نجد له في الشعر العربي القديم حضوراً وانتشاراً وقد يوضع ضمن غرض الرثاء المعروف في الشعر العربي عموماً، وهو الفن الذي يهتم ببكاء الميت وتعداد حسناته، بيد أن شعر الرثاء الحسيني صار غرضاً شعرياً مستقلاً حتى انه صار يمثل شعر القضية لم يعد يقتصر على الرثاء لمجرد الرثاء. وهو بهذا المفهوم ينماز عن الرثاء العام بتفصيل ما جرى على الامام الحسين عليه السلام من مأساة ومن خلالها يعبر فيه الشاعر عن خلجات قلبه الحزين ولوعته والتفجع والتلهف والحسرة والبكاء، وإن كان يقترن بهذا مع الرثاء بشكل عام فإنه ينفرد عنه بصفة خاصة هي إستيحاء الفاجعة الكبرى مخلوطة بقضية دين الأمة، فهو يحمل مضموناً عقدياً، فضلاً عن انه يحمل في الغالب موقفاً سياسياً ايديولوجياً، وقد يكون ذاتياً.

شعر القضية وشعراؤها

الكميت

ولد سنة 60هـ وتوفي سنة 128هـ، سكن الكوفة، وقيل انه دفن في طوس التي صار فيها مرقد الإمام الرضا عليه السلام بحسب ما جاء في مقدمة شرح ديوانه [الاسدي، 1986م/المقدمة ث]، لكن بحسب تحقيق وكالة الانباء العراقية فانه مدفنه وقبره في قضاء كميت ضمن محافظة ميسان في العراق [وكالة الانباء العراقية، 2020/12/1].

عرف بتشيعه وبرز في قصائده المعروفة بالهاشميات وقد أيّد ثورة الشهيد زيد بن علي بن الحسينعليهم السلام ودعا الى المشاركة فيها بالثورة على الأمويين، وله من الشعر ما يستوحي فيه واقعة الطف وموقف الإمام الحسين عليه السلام وصحبه فيها ومواقف أعدائه ضده، نذكر منه قصيدته التي مطلعها:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً مني أذو الشيب يلعب [الاسدي، الكميت، 1986م /84-85]

يقول فيها:

ومن أكبر الأحداث كانت مصيبةً علينا قتيل الأدعياء المُلحّبِ

قتيل بجنب الطف من آل هاشمٍ فيا لك لحماً ليس عنه مذبّبِ

القتيل هو الحسين بن علي عليهما السلام، والملحّب المقطع بالسيوف.وهنا تأتي فكرة تقطيع جسد الحسين لتكون موتيفاً يحرك مخيلة الشاعر.

وإذ يتجذر حب آل بيت النبي صلى الله عليه وآله بيكون موتيفا شعرياً عند الكميت منذ مطلع قصيدته فيمثُل فكرة راسخة في ضميره وشعوره ، ويجعل حبهم فكرة تقرّبه من الله ليقول:

الى النفر البيض الذين بحبهم الى الله فيما نابني أتقرب

بني هاشم رهط النبي فإنني بهم ولهم ارضى مراراً وأغضب

وأرمي وأرمي بالعداوة أهلها وإني لأذوي فيهمُ و أؤنّب

ويؤكد موقفه هذا بقصائد كثيرة في شعره منها ما جاء في قصيدة يقول فيها :

ومن عجبٍ لم أقضه أنّ خيلهم أجوافها تحت العجاجةِ أزمُلُ

– يُلحئن عن ماء الفرات وظلّه حسيناً ولم يشهر عليهُنَّ مُنصُلُ[الاسدي، الكميت، 1986م / 164-165] .

فتكون اجزاء قصة الواقعة موتيفات فرعية محركة ومحفزة لبناء النص الشعري.

وهنا نشير الى القيمة الفنية للموتيفات متمثلة بالاندماج الروحي في القضية الحسينية عند هذا الشاعر، مثلما نجدها عند غيره ممن انتهج هذا الانتماء الروحي الى آل بيت النبي محمد عليهم الصلاة والسلام.

السيد الحميري

من شعراء القرن الثاني للهجرة، توفي سنة 173هـ ببغداد، [الحميري، 1999م/17] في شعره تسمو الفجيعة الى مستوى الفن في تصوير مشاعره حتى بدا له قبر الإمام الحسين ورفاته رمزاً خالداً مدى الدهور للثورة والتضحية من أجل العقيدة ، وخص من جسده الشريف عظامه وهي في تقييمه زكية، ويراها حية الى الأبد، ولم يكن تخصيصه لذكرها صدفة بل لأنها نهضت بحمل فجيعة مضافة تذكّر بموقف أعدائه الذين أمروا الخيل أن تدوس جسده الشريف وتهشم تلك العظام وتطحنها تمادياً بالاهانة و تعمقاً في أذيته وأذية أهله ومحبيه .ذلك في قصيدته (إبك المطهّر) اذ يقول:

امْرُر على جدث الحسين وقل لأعظمه الزكيه[الحميري، 1999م/226]
يا أعظماً لا زلتِ من وطفاء ساكبة رويه
ما لذّ عيش بعد رضـــــك بالجيــاد الاعوجيه
قبر تضمن طيبــا آباؤه خـــيرُ البريــه

ويجهر فيها بمجابهة قاتليه حتى يقول:

جعلوا ابن بنت نبيهم غرضا كما ترمى الذّريّه

فيرتكز الموتيف على استيحاء الرواية التاريخية لمقتل الحسين والتمتدي في الاعتداء على جسده الشريف برض عضامه بالخيل التي امر عمر ابن سعد ان تدوسه حتى تطحنه وينزل الموتيف الى جزئيا مستوبت الحدث يأن يصف توع تلك الخيل التي داسته(ما لذّ عيش بعد رضك بالجياد الاعوجيه).

دِعبِل بن علي الخزاعي

من شعراء العهد العباسي ولد سنة 148هـ وتوفي سنة 247هـ، وهو من أصحاب الإمامين الكاظم والرضا وأدرك الجواد عليهم السلام، ممن نسج فنه حاملا موتيفا القضية الحسينية ممزوجة بروح الانتماء الى تيار حب آل النبي صلاة الله عليهم محملة بهاجس الغصة المستدامة على مصيبتهم والثورة على اعدائهم. وله التائية المشهورة التي منها:

مدارسُ آياتٍ خلت من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرصاتِ[الخزاعي، 1962م /89]
أفاطم لو خلت الحسين مجدلا وقد مات عطشانا بشط فرات.

القصيدة التي تردد صداها في مختلف الأمكنة والأزمنة ولعله في مقدمة الذين ظهروا بالجانب التصويري السياسي المؤثر في هذه التائية وكذلك يعد في مقدمة الذين قارعوا لهذا النوع من الشعر في

سبيل الخلافة العلوية وقد أشاد بهذه القصيدة، واشار اليها، جمهور من المؤرخين الذين استرعت أنظارهم كما استرعت انتباه الخليفة العباسي المأمون وانظار الشعراء الكثيرين[الخزاعي، 1962م /91].

ويأتي السؤال هنا هل كان هذا الشعر لمجرد البكاء وذكر المأساة؟، ولماذا كان أصحاب السلطان يقمعونه وينكّلون بمن يقوله اذا كان لمجرد البكاء؟

يمكن النظر الى هذه المسألة من جهة اخرى وهي ان هذا الشعر كان يؤدي وظيفة سياسية في الاصرار على المجاهرة بان قضية قتل الحسين هي قضية قمع للثورة ضد الطغيان والظلم وحفظ العقيدة ، وهذا ما يسمى بالبكاء السياسي فهو رسالة مبطنة للاستمرار بإعلان الثورة ضد السلطات المستبدة التي غصبت ال البيت ارثهم في قيادة الامة.

الشريف الرضي

ولد سنة 359هـ (970م) وتوفي سنة 406 (1061م) كان أبرز من رثى الحسين عليه السلام في العهد العباسي إذ كان يقيم ماتماً سنوياً لرثائه يلقي فيه ما كتبه في مصيبته، من ذلك قوله في قصيدة مطلعها:

– صاحت بذودي بغدادٌ، فآنسني تقلبي بظهور الخيل والعيرَ [الرضي، 1995م /448]
– فقلت هيهات، فات السّمع لائمهُ لا يفهم الحزنُ إلا يومَ عاشورِ
– ومنها: وخر للموت لاكفٌّ تقلّبه إلا بوطءٍ من الجرد المحاضيرِ

كَأَنَّ بِيضَ الْمَوَاضِي وَهْيَ تَنْهَبُهُ نَارٌ تَحَكَّمُ فِي جِسْمٍ مِنَ النُّورِ
للهِ مُلْقًى عَلَى الرَّمْضَاءِ عَضَّ بِهِ فَمُ الرَّدَى بَيْنَ إِقْدَامٍ وَتَشْمِيرِ
تَحْنُو عَلَيْهِ الرُّبَا ظِلًّا وَتَسْتُرُهُ عَنِ النَّوَاظِرِ أَذْيَالُ الْأَعَاصِيرِ
تَهَابُهُ الْوَحْشُ أَنْ تَدْنُو لِمَصْرَعِهِ وَقَدْ أَقَامَ ثَلَاثًا غَيْرَ مَقْبُورِ

وهنا ياتي الموتيف موحياً باستذكار الفاجعة فيبعث على رسم الحوادث كأنّها حاضرة وهو يعايش الحال في ويضيف ما تجود به مخيلته من ذكر لكرامات الحسين كما روتها الحكايات الشعبية فيصفه بالكرامة في الممات، ويذكر أن الربا أظلته، وأن أذيال الأعاصير سترته عن العيون، وأن الوحش هابه فلم ينهش لحمه، مع أنه أقام ثلاث ليالٍ غير مقبور.

وان لم يكن أول من رثى الحسين وكتب في قضيته فقبل ذلك كان هناك شعراء تبنوا القضية الحسينية والانتماء إلى اهل البيت فكرا وعقيدة منهم: الكميت الأسدي وكثير عزة في العهد الأموي ، والسيد الحميري وديك الجن الحمصي وغيرهم فانه ينماز بأنه يعلن اقامة مجلس عزاء رسمي لمقتل الحسين في ذكرى عاشوراء وعلى مستوى اجتماعي عال في الدولة العباسية .

القضية الحسينية في الشعر الاندلسي

قبل ان ننهي بحثنا في هذا المحور لابد من الاشارة ولو بشكل موجز الى الشعر الاندلسي الذي حمل كماً كبيراً من الابداع في القضية الحسينية ضمن تيار الشعر الديني وهو يحتاج الى بحث مستقل لكثرة الشعراء الذين خاضوا في بحره الزاخر. وقد صور شعراء الاندلس فاجعة استشهاد الحسين وما اصاب آل بيت النبوة في كربلاء بما يكشف عن عمق اثر المأساة في نفوس المؤمنين والتعبير عن الانفعال لها، بعد انقراض زمن الامويين المروانيين على وجه الخصوص في زمن المحوديين[عبد العزيز، 2023م /567]، و في زمن ملوك الطوائف برز اكثر حيث نشط الشعر الديني بهدف التمسك بالعقيدة في مواجهة الغزاة الصليبيين، نذكر من شعراء الاندلس[الهراس، 1978م،/203].

صفوان بن إدريس

هو صفوان بن ادريس بن ابراهيم المرسي التجيبي، ولد في مرسية عام 560 للهجرة وتوفي بها سنة 598 للهجرة، استوحى القضية الحسينية في شعره الذي منه قوله:

سلامٌ كأزهار الربى يتبسّم على منزلٍ منه الهدى يتعلمُ
على مصرعٍ للفاطميين غُيّبت لأوجههم فيه بدور وأنجم
على مشهد لو كنت حاضرَ أهله لعاينت اعضاء النبي تُقسّم
على كربَلا لا أخلف الغيثُ كربلا وإلا فإن الدمعَ أندى وأكرم.[عبد العزيز، 2023م /580]

هنا يحفز الموتيف الروائي التاريخي للقضية الحسينية الشاعر الى استذكار مشهد الفاجعة ويربطها بالعامل العاطفي الديني من خلال نسبتها الى جسد النبي صلى الله عليه واله بقوله (لعاينت اعضاء النبي تُقسّم).

المحور الثاني: القضية الحسينية في الشعر العربي الكلاسيكي الحديث و المعاصر

يتناول نماذج لشعراء من القرن الثالث عشر الهجري، او التاسع عشر الميلادي وما بعده، وشمل الاختيار: (السيد حيدر الحلي 1304هـ ، و محمد صالح بحر العلوم 1412هـ) ومن الشعر الكلاسيكي المعاصر: (احمد الوائلي 1424هـ، ، و مؤيد عباس).

في القرن التاسع عشر الميلادي أصبح الرثاء الحسيني غرضاً مستقلاً تمتزج فيه الذكرى بالعقيدة وخصوصاً العقيدة المهدوية التي تمثلها الشعراء أمثال السيد حيدر الحلي في قصيدته (الله يا حامي

الشريعة) وذلك تمثلا لقول الامام الصادق عليه السلام (ما من احد قال في الحسين شعرا فبكى أو أبكى إلا أوجب له الله الجنة وغفر له) وكانت المآتم الحسينية من عوامل نضج هذا الشعر ونجد ان التركيز على عنصر المأساة واشاعة جو البكاء هي المنطلقات والابعاد التي اعتاد عليها خطباء المآتم الحسينية وشعراء الحسين وان كانت قضية الاستنهاض والثورة موجودة لكنها أخف من قضية البكاء ومع ذلك تظهر جلية قضية اعلان الصرخة بوجه الظلم والطغيان والفساد من الولاة الجائرين تأسياً بموقف الامام الحسين عليه السلام

السيد حيدر الحلي

ولـد 1246هـ، وتـوفي 1304هـ [الحلـي، 2011م/ 15]، (1831–1886 م) القـرن 13هـ/ 19م ، يضم ديوانه الدر اليتيم حوليات في الرثاء الحسيني [الحلي، 1950م، ج128/1]في بعض قصائده الرثائية لجده الحسين عليه السلام كان يختم باستنهاض الامام الحجة المهدي ويستجيره او يكايد به اعداءه بان الله سينصره وينصر دين رسوله محمد صلى الله عليه واله بظهوره لينتقم من ال ابي سفيان وال حرب والمروانيين فيأخذ بثأر الحسين عليه السلام بضربة شديدة لا مجال لردها كما ورد في هذه المقاطع من احدى قصائده الطويلة :

– لا تحذرَنّ فما يقيك حذار ان كان حتفك ساقه المقدار [الحلي،2011م/116–119]
وارى الضَنينَ على الحِمام بنفسه لابد ان يفنى ويبقى العارُ
– سائل(بهاشمَ) كيف سالمت العِدى و على الاذى قرَّتْ وليس قرار
– هَذي أُميّةُ لا سرى في قُطِرها غضُّ النسيمِ و لا استُهلَّ قِطارُ
لبست بما صنعت ثيابَ خزايةٍ سوداً تولى صُبغهُنَّ العارُ
اضحت لرغم انوفكم ما بينها بنسائكم تتقاذفُ الامصارُ
شهدت قِفارُ البيد ان دموعها منها القفارُغدونَفيه بحارُ
من كل جانحة تقاذَفُها الرُبى ويشوقها الانجاد والإغوار
حتى تُريحَ بِعُقر دارٍ لم تزل حرماً تُجانبُ ساحها الأقدار
– وتظل تدعو(الَ حربٍ) والجوى مِلءُ الجوانحِ والدموعُ غِزار
أطريدةَ المختارِ لا تتبجّحي فيما جرت بوقوعه الأقدارُ
فلنا وراءَ الثارِ أغلَبَ مُدرِكٌ ما حالَ دونَ منالهِ المقدارُ
اسدٌ تَرُدُّ الموتَ دهشةُ بأسهِ وله بأرواحِ الكماةِ عِثارُ
صلى الإلهُ عليه من متحجّبٍ بالغيبِ ترقبُ عدلَهُ الأقطار

في هذه المقاطع التي اخترناها من القصيد نجد اكثر من موتيف للقضية الحسينية ، فهناك موتيف الموقف الموعظة والحكمة المستنتجة من واقعة الطف في القضية الحسينية وهي تبدأ بشقين في بدايه القصيده الاول يتضمن الحكمة في ان الفوز يكون بطلب الحق ولو كان بثمن الشهادة فالحذر لا يغني عن الموت شيئا، والآخر هو السؤال الإنكاري لموقف الاستكانة لمن خضع وسالم على الرغم مما أصابه من الاذى بسبب هذا السكوت.

ويسوق هنا موتيفاً لفظياً في اسم العلم (هاشم) ويكنى به عن من ينتسب إليه من البيت العلوي فيُأصّل إنتماء الامام الحسين واهله الى بيت النبوة، وبعدها ياتي تحديد الموقف تجاه المعتدي بلفظ (أمية) وهنا موتيف لفظي اخر يعمل بالضد من الموتيف السابق فيكون مقابلا لفظيا ومعنويا فتكون الفضيلة لهاشم ونسله ويكون العار بسمه السواد لبني أمية بما ارتكبوا من جناية التعدي على حرمة بيت النبوة .

ياتي بعد ذلك الموتيف الحكائي في رواية السبي بعد واقعة الطف اذ تتشعب القضية الحسينية الى احداث كثيرة منها سبي عيال بيت الرسالة والنبوة والخلافة والإمامة على يد جيش بني أمية والتطواف بهم في الأمصار امعانا بالجقد ولزيادة الذلة على اهل بيت النبوة والتنكيل بهم.

ثم يستوحي الشاعر الروايه الشعبيه والمدونة عند أصحاب التاريخ في وصف عذاب الأسر والسبي لعيال الحسين وبناته واطفاله من الاسرى وهنا يكون الموتيف الواقعي جليا

بعدها يظهر الموتيف التاريخي لزمن سابق ايام حياه النبي عليه الصلاة والسلام اذ يعيد روايات تذكر انه طردَ مروان وعمر بن العاص من المدينة، فياتي قول الشاعر (الطريدة المختار لا تتبجحي ..)

بعدها يأتي دور بث الوعي الثوري لزرع أمل اخذ الثار بظهور الامام الحجة المنتظر المهدي ويأمل ان يعجل الله فرج ظهوره فيقول الشاعر(فلنا وراء الثار اغلب مدرك..)

وفي قصيدة اخرى نجد السيد حيدر الحلي مستنصرا الامام الحجة المهدي المنتظر عجل الله فرجه ليثأر لجده الامام الحسين عليه السلام:

– الله ياحامي شريعه أتقر وهي كذا مروعه
بك تستغيث وقلبها لك عن جواى يشكو صدوعه
تدعو وجرد الخيل مصـ غية لدعوتها سميعه
– مات التصبر بانتظا رك ايها المحي الشريعه
فانهض فما ابقى التحمـ ل غير احشاء جزوعه
قد مزقت ثوب الاسى وشكت لواصلها القطيعه

يمكن القول ان تمثّل شعر القرن التاسع عشر وما تلاه في مطلع القرن العشرين، بل واغلب الشعر الكلاسيكي المعاصر اليوم الذي يتناول القضية الحسينية نجد فيه تأثرا واضحا برواسب الصور الشعبية وما تناقلته الرواية الموروثة من الحكايات الأسطورية في القضية الحسينية.

وهذا قد يكون تعبيرا عن أثرها النفسي الجماعي من خلال الفن الشعري بوصفه وسيلة تفاهم روحي بين الشاعر والجمهور، بحسب راي عز الدين اسماعيل [إسماعيل،1972م /164].

محمد صالح بحر العلوم

1326- 1412هـ (1909- 1992) في بداية القرن العشرين يكتب مستوحيا فكرة التحدي والتضحية في واقعة استشهاد الحسين عليه السلام وقد تأثر بحياة عصره و ما أدركه من النهضة الفكرية وقضايا التحرر العالمي فيقول في ذكرى استشهاد الحسين:

بدم الشهيد تخط فاجعه الاضاءه حقا بدون دم ابى ان يكتبا [بحر العلوم، 1969م/84- 85]

تاريخ إثبات الحقوق سطوره حمر تعلمنا النضال الأصوبا

– قسما بيومك وهو في تاريخنا دامٍ سنبقى لا نهادن أحوبا

نمشي على هدي الأباة ونزدري بالنائبات ولا نفوّت مطلبا

ونقود ركب الشعب لاستقلاله حتما وان تكن المشانق مركبا

ولنا الشهادة في سبيل دفاعنا عن حقنا كالشهد تحلو مشربا.

فتجد تطور الفكرة بنمو الموتيف من الرواية التاريخية الى الواقع المعاصر، فيكون القمع بالمشانق بدل قطع الرؤوس، والأمة تتحول الى الشعب بمصطلح العصر.

احمد الوائلي 2003م

وفي مرتبة متقدمة نجد تمثل موتيف القضية الحسينية أكثر من غيره في شعر من أوقف نفسه على خدمة القضية الحسينية مثل الدكتور الشيخ (1923م – 2003م) حيث يتمثل دم الحسين موتيفا خالدا في ضمير الأمة لا في ضميره هو فحسب فدم الحسين حي في رمل كربلاء الذي يعني له الانتماء الى مشروع الحرية الانسانية ومقابل ذلك يتمثل يزيد رمزا للظلم الأبدي فيقول:[الوائلي، د ت/ 99]

يا دماً شابت الليالي عليه وهو للآن في الرمال جديدُ

يحمل الطفُّ والحسينُ حساما كلما مر بالوجود يزيد

وإذا عرس الخنوع بجيلٍ وانحنى منه للمذلة جيد

صاح بالرمل من صداه دويٌّ فاذا الرمل فارس صنديد

مؤيد عباس

الشاعر السيد الدكتور مؤيد عباس له قصيدة من الروائع الحية وهو يصور ذكرى الشهادة ممزوجة بذكرى الزيارة الاربعينية (درب الحسين)[حسين، 2022م /46] منها:

– دمع غفى في المقلتين حبيسا والحزن امسى في دمي مغروسا
ابكي فتسبقني بقايا عبرة وتشن حربا في الفؤاد ضروسا
صوت الحسين على المجرة قد علا نحو السماء ولم يكن مهموسا
– قض المضاجع من يزيد بثورة زرعت مواسم عيشه كابوسا
في عصبة الاشرار طبع غواية عشق الخنا والعار والتدليسا
يا أيها المذبوح حسبك رتبة تبقى بصومعة العلا قديسا
رضت خيول الظالمين عظامه ويزيد بات بحقده مهووسا
– هذي دمانا كلها في دربه شمس تفيض على الزمان شموسا
والأربعون اذا تجلت قلعة امسى العراق بسورها محروسا
– درب به معنى الجلال يقوده ذاك الهتاف مقدس تقديسا
والقائم المهدي أعلى راية رفت فكانت للجموع انيسا
والأنبياء جميعهم في زحفنا نُوحٌ ويحيى والمسيح وموسى
هذا يسوع مبارك خطواتنا نحو الحسين ويقرع الناقوسا
والطور يسعى ثم زمزم والصفا ادريس يمشي و الكليم وعيسى
تلك الزيارة للكرامة ثورة. ثوارها تبقى بها فانوسا

ما يلفت النظر في نص الشاعر السيد الدكتور مؤيد عباس حسين أن ذكر إمام العصر المهدي عجل الله فرجه لم يحضر لمجرد الاستنهاض لأخذ الثأر كما في شعر السابقين في القرن التاسع عشر بل وظّف وجوده بصفته قائدا للمسيرة الحسينية في زحف زيارة الاربعين. كذلك نلحظ افتراق هذا النص عن شعر القرن العشرين الذي تبنى القضية الحسينية بصفتها الثورية للمؤمنين وغير المؤمنين والعقدية للمؤمنين اذ خلت معظم اشعار من كتب في القرن العشرين عن الدعوة المهدوية التي كرس شعراء القرن التاسع عشر ابداعهم.

المحور الثالث: الحداثة والتجديد في موتيف القضية الحسينية في الشعر العربي المعاصر

يتناول امثلة في موتيف القضية الحسينية من الشعر العربي المعاصر منذ بداية القرن الرابع عشر للهجرة الموافق للقرن العشرين الميلاديالى اليوم. وشمل الاختيار كل من:(السياب ، وامل دنقل ، ونزار قباني، وادونيس) وفي قصيدة النثر المعاصرة نجد قصائد الشاعر(سعد ياسين يوسف).

نجد لقضية الحسين بن علي عليهما السلام وسيرته ومواقفه في كربلاء أثرا في الشعر العربي الحديث فكانت مصدر الهام للشعراء الثوريين من جميع الاجناس والطوائف وحتى ممن لم يتبنوا الفكر الديني لأن ذلك من مسلمات الفطرة الانسانية المجبولة على رفض الظلم والمطالبة بالعدل والحق، بيد ان الأثر الأكبر لها كان في ضمير من ينحاز الى الإيمان ضمن حب آل البيت عليهم السلام، ومن أبعادها قضية الثورة وقضية رفض الظلم.

وبهذا فان هذه القضية تمثلت موتيفا فنيا متغيرا بوظيفته وشكله، اذ اصبحت صورة الحسين عليه السلام تستدعى في نظر الشعراء لتكون نموذجا لصورة البطل الذي يواجه الخطر في سبيل قضيته، وكذلك كان النظر إليه بصفته القائد الذي لم ينثني عن هدفه الاسمى اذا ما سلبت منه تلك الإمكانيات المادية، فرواية استشهاده تشير الى ان الإمكانيات المادية لم تكن هي السبيل الوحيد للنصر في نظر هذا القائد بل الارادة الحرة في اختيار التضحية ولو كان سبيلها الهلاك في مواجهة الطغاة، فعلى الرغم من سعيه للأخذ بالمستلزمات الضرورية للثورة مثل الدعوة للجهاد وتعبئة المقاتلين وحمل السلاح، لكن أعداءه تمكنوا من سلبها منه بيد ان ذلك لم يكن معرقلا له في إكمال مشروعه النهضوي لأن النصر المؤقت الذي يرفع راياته الطغاة على اشلاء الضحايا هو نصر زائف سينتهي بنهاية الظالم لياخذ الحسين بعد ذلك رمزيته في الانتصار في نظر الشعراء المعاصرين .

ونجد أمثلة كثيرة تستدعي هذه القضية بتنوع أبعادها في الشعر المعاصر، أهمها ما جاء في مواجهة الاحتلال الاسرائيلي وهمجيته وطغيانه المسنود بالاستعمار العالمي وكذلك مواجهة الرؤساء والملوك الظالمين واتباع المستعمروغير ذلك من المعاني.

و يتضح موتيف القضية الحسينية من خلال تتجديد أبعادها وآثرها، إذ تأخذ أبعاداً وآثاراً متغيرة في الشعر المعاصر وتتبدل دلالتها الفنية بين الشعراء كما في الامثلة التالية:

السياب (1926م-1964م)

ومن هذا النوع قصيدة للسياب في رثاء الإمام الحسين لم تنشر في ديوانه الكامل بطبعة دار العودة ببيروت وكانت منشورة في الطبعة الاولى لمجموعته ازهار ذابلة.

هذه القصيدة تشكل نموذجاً متميزاً لشعر الرثاء عامة والمراثي الحسينية خاصة، يعقد فيها الشاعر مقارنة بين شخصيتي الإمام الشهيد الحسين والطاغية يزيد، بادئاً برسم صورة الطاغية ومنتهيا بصورة الشهيد، و خلال القصيدة تتداخل حشود من صور العذاب التي تنبئ بنهاية الظالم الطاغية

ومصيره فتبدو كأنها مستوحاة من "رسالة الغفران، للمعري" او من "الجحيم في: الكوميديا الالهية، لدانتي". كما يستوحي الشاعر من الرواية التاريخية موقف عقيلة بني هاشم السيدة زينب أخت الحسين عليهما السلام ما يصور به مشاهد المأساة حتى نهاية القصيدة التي عنوانها(رسالة الى يزيد)[السياب،1981/88] فتكون المأساة على شكلين اولهما مصير العذاب المؤجل في الجحيم وهو عذاب لانتهي ، في مقابل المأسات والعذاب الحاضر الذي عانته عصبة المقاومة والرفض الحسينية ، فيتسامى خيال الشاعر يادخال القضية الحسينية في عالم اسطوري. نذكر منها :

– إرمِ السماء بنظرةِ استهزاءِ و اجعل شرابكَ من دم الأشلاء[السياب،1981/88]
و اسحق بظلكَ كل عرضٍ ناصعٍ و أبحْ لنعلكَ اعظمَ الضعفاء
و اسدرْ بغيّكَ يا يزيدُ فقد ثوى عنكَ الحُسينُ ممَزّقَ الاحشاءِ
– أبصرتُ ظلكَ يا يزيدُ يرجهُ موجُ اللهيبِ و عاصفُ الأنواءِ
– عصفتْ بيَ الذكرى فألقتْ ظلها في ناظريّ كواكبُ الصحراءِ
أضفى عليهِ الليل ستراً حيكَ من عرف الجنان ومن ظلال " حراءِ "
أسرى، و نامَ فليسَ إلاّ همسة باسمِ الحسينِ و جهشةُ استبكاءِ
تلك ابنة الزهراء ولهى راعها حلمٌ المّ بها مع الظلماءِ
تنبي أخاها و هي تخفي وجهها ذعراً ، و تلوي الجيدَ في إعياءِ
– غيرُ الحسينِ تصدّه عمّا انتوى رؤيا .. فكفّي يا ابنةَ الزهراءِ
– بأبي عطاشىً لاغبينَ و رضعاً صفرَ الوجوهِ خمائصَ الاحشاءِ
عزّ الحسينُ و جلّ عن أن يشتري ريّ الغليل بخطةٍ نكراء

أمل دنقل

1. نجد تَمَثلاً للقضية الحسينية بفكرة متجددة عند الشاعر المصري أمل دنقل(1940 م – 1983م) في مقطع من قصيدة له بعنوان: "من (أوراق ابو نواس) "[دنقل، 2012م /310] إذ يقول:

كنت في كربلاء
قال لي الشيخ إن الحسين
مات من أجل جرعة ماء
وتساءلت كيف السيوف

استباحت بني الأكرمين
فأجاب الذي بصّرته السماء
انه الذهبُ المتلألئ في كل عين
ان تكن كلمات الحسين
وسيوف الحسين
وجلال الحسين
سقطت دون أن تنقذ الحق من ذهب الأمراء
أفتقدرُ أن تنقذَ الحقَّ ثرثرةُ الشعراء
والفرات لسانٌ من الدم لا يجدُ الشفتين.

يصنع الشاعر لوحة حوارية مع متخيل اسطوري بهئة شيخ يمثل التاريخ او يرمز له، وفيها يقر بحقيقة زيف الواقع بالخضوع لغواية الدنيا وسطوة الباطل ممثلا بذهب الامراء بيد أنّ الحق وان بدا ضحية في نظر من يطلب الدنيا فهو المنتصر في نظر الاحرار.

في السطر الاخير من هذا المقطع الشعري يشير الى ان القضية لاتموت بقطع شفتي لسان ينطق بالحق فهو قضية باقية في ضمير الأحرار، وصورة الفرات بصفته لسان الدهر الباحث عن شفتيه تشير الى حياة ابدية في مواجهة الفقد المتعمد من الطغاة.

ومن خلال نعي الحسين ينعى أمل دنقل العصر الذي عاشه ويشهّر بمن يستمرّون بذبح الحسين كل يوم وينافقون ويؤدون الصلاة بعد الجريمة فيقول في قصيدته " الأرض والجرح الذي لاينفتح" :

2. " الأرض ما زالت بأذنيها دمٌ من قرطها المنزوع..."[دنقل،2012م / 310]

_ والأموي يعوي في طريق النبع
دون الماء راسك يا حسين
وبعدما يتملكون يضاجعون أرامل الشهداء
لا يتورعون .. يؤذنون الفجر.. لم يتطهروا من رجسهم
فالحق مات."

هذاالمقطع غاية في الرقي الرمزي للغة الشعر الحديث، ففي السطر الاول " الأرض ما زالت بأذنيها دمٌ من قرطها المنزوع " يستوحي قضية مقتل الحسين او استشهاده رامزا له باسلوب استعاري واصفا اياه بقرط الارض ، وهو ما يمثل قمة وقارها وجمالها وكنزها بصفته ارث النبوة الذي اهداه الرسول للبشرية، ودمه رمزا لاستمرار قضية انتزاع الحق من اهله وكأنه جرح مفتوح على مر الازمان.

تتحقق فاعلية الموتيف في جملة (دون الماء راسك يا حسين) ففيها استيحاء تفاعلي مع الموروث الشعبي لحادثة منع الحسين وعياله من الماء يوم عاشوراء.

وجملة " وبعدما يتملكون يضاجعون أرامل الشهداء " تستدعي قضية تاريخية من زمن ما سمي (بحروب الردة) و في المقطع الاخير يواجه المرائين ويفضح مواقفهم المزورة ن وفيها يرتفع اثر الموتيف الى قضية المواجهة مع التاريخ المزيف والواقع المخادع على حدّس سواء.

نزار قباني (1923– 1998م)

في امتداد القضية وآثارها يظهر رمز الحسين ميراثاً مستمر الحضور في فكرة الثورة ومقاومة الباطل التي لن تنتهي ومثالها المقاومة اللبنانية في مخيلة نزار قباني الشعرية من شعره قصيدة (السمفونية الجنوبية الخامسة) [قباني، نزار، د ت/ 54] التي وجهها الى السيد موسى الصدر ناخذ مقاطع منها:

1– سمّيتك الجنوب
يا لابسا عباءة الحسين
وشمس كربلاء
يا شجر الورد الذي يحترف الفداء
يا ثورة الأرض التقت بثورة السماء
يا جسدا يطلع من ترابه
قمح ..وأنبياء
2– سميتك الجنوب
يا قمر الحزن الذي يطلع ليلا من عيون فاطمة
يا سفن الصيد التي تحترف المقاومة
يا سمك البحر الذي يحترف المقاومة
يا كتب الشعر التي تحترف المقاومة.....
.. يا أيام عاشوراء
.. ويا مآذن الله التي تدعو لى المقاومة
... يا لعلعة الرصاص في الاعراس
... يا فصائل النمل التي – تهرّب السلاح للمقاومة. ....[قباني، نزار، د ت/ 54]

أدونيس

قد نجد قضية المال عاملاً في المواجهة بين الحق والباطل الذي تمثله السلطة ففي قصيدة أدونيس الشاعر السوري (علي أحمد سعيد إسبر) (ولد 1948م) قصيدة بعنوان (مرآة الرأس) [أدونيس،1988م / 83] يستوحي فيها قصة حوار بين الرجل الذي حمل رأس الحسين عليه السلام وزوجته إذ جاء يبشر زوجته بالمال لكنها ترفضه عند معرفتها بفعله فيقول أدونيس على لسانها ولسان زوجها:

(– سايرته ، رصدته
غلغلت في جفونه
أيقظت كل شهوتي هجمت واحتززته.. وجئت.
أبشري
جئتك بالدهر، بمال الدهر
من أين، كيف، أين؟
برأسه..
الحسين؟
ويلك يوم الحشرْ
ويلك لن يجمعني طريقٌ أو حلم أو نوم
إليك بعد اليوم..)
وهاجرت نوّار ." [أدونيس،1988م / 83]

هذا النص لا يخرج عن الموروث في الرواية التاريخية والصورة الشعبية للقضية، ولا جديد فيه.

مظفر النواب (1934– 2022)

من ابعاد هذه القضية وتمثلاتها ما نجده في مواقف مظفر النواب حيث يتجدد عنده موتيف القضية برمزية المكان (كربلاء) وتتناسخ الرموز وتتوالد القضية في قصيدته (في الوقوف بين السماوات ورأس الحسين) [النواب، 2019م/ 00:48] منها قوله:

"تطيلُ وقوفك
ضد يزيدٍ
إلى الآن
لله مما بتاريخنا من مغولٍ
ومما به من ذرى لا تطالُ
وعنها انحدارُ السيولْ
إننا في زمانٍ يزيدٍ...

كثير الفروعِ
وفي كل فرعٍ لنا كربلاءُ..."

ومع انه شيوعي يصرح أن لا علاقة له بالجنة ولا بالنار لكنه يميل الى سحر القضية قضية العدل وتضحية الأبطال الصامدين في وجه الطغاة فيقول بمقاطع منها:

" يا إمام الشهادةِ!
عهدٌ على عاشقي كبرياء السماوات
في ناظريك...
نقاومُ "

ومنها:– "فأذهلُ انك اكثر منا حياة"

– " لم يكن اشمخ منك وانت تدوس عليك الخيول"

– " كذلك أنت لابد يارب تغفر للكفر إن كان حرا أبيا
وهيهات أن تغفر للمؤمنين العبيد "

- **القضية الحسينية موتيف متجدداً في قصيدة النثر المعاصرة**

قصيدة النثر المعاصرة التي هي بنت العصر ومشتقه الإبداعي الجديد لها بناء متفرد في اللغة والفكر مما يجعلها تستقل بلون من الشعرية لا تشاركها فيه قصيدة العمود وهي تسهم في تناول القضية الحسينية بلون ابداعي يمنحها حضورا في لوحة الوجود الأدبي بحيث لا يمكن اغفالها.

سعد ياسين يوسف

ناخذ مثالا من قصيدة النثر ما كتبه الشاعر الدكتور سعد ياسين يوسف الذي غرس شجرتين ضمن جنة البهاء الحسيني هما: شجرة كربلاء /١ و شجرة كربلاء/2:

(شجرة كربلاء /١) [يوسف، 2012م/86].

الأرضُ والسَّماء
ما بينهما
عطشٌ مريبٌ للدِّماءِ
وسيوفُ رملٍ
هاجها توقُ الجنونِ

إلى العيونِ
والأرضُ تميدُ بثقلِها
حَرّى لمتكأٍ
فتستقرُ حمامةً
على كتفِ البراق
عطشُ الرِّمالِ مُؤججٌ
وهجيرُ صحراءِ الفراتِ
مشرعٌ
لقيامةِ الرّملِ إلى العيونِ
وهجُ العيونِ المشرفاتِ،
على المدى.
الأرضُ مائلةٌ،
وخيوطُ الشَّمسِ
غطتْ مدى الصحراءِ
لكنَّما عطش الرِّمالِ
أفاعيها التي اصطخبتْ
موجاً من الرَّملِ
استفاقَ بها جنونُ الجاهليةِ
كي تئدَ العيون
بكلِّ قتامةِ الصّحراءِ
سيفُ الرملِ
يهوي
فيسيلُ دمٌ على الرِّمالِ
وتدوّي صرخةُ الدَّمِ
لا
"يا سيوف ... خذيني"
تصلُ السَّماءَ
تعلو رايةٌ هي كربلاء التي انبتتْ
شجراً

يشعُّ من لائِها وهجُ العيونِ
من أوّلِ الفتحِ
لآخرِ الزَّمانِ.

يقوم هذا النص على تصوير سُريالي بلوحة شعرية تستدعي فكرة واقعة كربلاء التي منها انطلقت القضية الحسينية وان عناصر هذه اللوحة الشعرية من الدوال تتعاضل في علاقاتها ابتداء من اتساع أفق الانتماء في دال السماء وهو تمثيل لفكرة ايديولوجية عن القيمة العليا او الدين في مقابل الارض التي تمثل المادة بعنصرها المجرد (الرمل) ويأتي عنصر (الدماء) ليكون آصرة التحول في الصراع بينهما.

فالارض عطشى للدماء وتميد بحركتها على الرغم من ثقلها المادي ثم تأتي حركة مضادة تحاول ان تعادل اهتزازها لتعيدها الى صورة الاستقرار من خلال جمله: (حمامة على كتف البراق) وتعلو رمزية العامل المضاد بصفته الاديولوجية العليا وهو ما يرمز الى موقف الحسين من دون ذكر لإسمه او صفته المادية وتبدا حركه الصراع المضطربة في قيامة الرمل وتمادي مستوى الطلب غير المشروع الى افق العيون حتى يتحول (الرمل) المادي الى سيوف مجازاً ثم يضطرب المعيار المنطقي بفاعلية السحر المشوش للحقيقه (الكذب) ويأخذ دور الحقيقة (يسلبه) فتتصور السيوف كأنها أفاعي الصحراء وتختلط الصور بموج الرمال الذي يستفيق به الجنون بسبب الجهل (أفاعيها التي اصطخبتْ – موجاً من الرَّملِ – استفاقَ بها جنونُ الجاهليةِ – كي تئدَ العيون) فتسعى لوأد العيون ، التي هي رمز الادراك وعنصر الحقيقة القريب، ويسعى السيف الى قطعها والرمال الى وأدها فينبلج زمن مختلف يبدأ من سيلان الدم على الرمل وبعد ذلك تعلو صرخة التضحيه(وهنا استدعا لموتيف تاريخي في حكاية عن الحسين(.. فياسيوف خذيني) التي تتحول الى راية ، وهنا يتضح الموروث القومي المجتمعي للراية التي تعني قضية طلب أمر يجمع عليه أهله. ويستمر التصوير السريالي بان تنبت الراية شجرة يشعّ منها صوت الرفض ممثلا بالصرخة التي تزلزل الأفق فتنتج الفتح غير المحدد في زمنه.

ومع كل هذا التجديد في التعامل مع الصورة اللازمة للقضية لا نجد في هذا النص محيداً عن الفكرة المأثورة عن القضية الحسينية في كونها قضية الصراع بين الحق والباطل وليس لهذا النص إلا المقدرة الفنية في صناعة الصورة الشعرية السريالية برمزية العناصر وانبثاقاتها المبتكرة التي تؤطرها.

القصيدة الاخرى (شجرة كربلاء – 2) [يوسف، 2018م / 44].

منذُ أنْ توضأ الترابُ
بدمكَ الأخضرِ
قامت قيامتُها الأرضُ

صار لها وجهُ السماءِ
معنى التجذرِ الآتي بموجِ انبثاقِ
الخضرةِ التي أشعلْتَها في خشبِ السكونِ
وكلما جفت ينابيعُ صوتِ اللهِ
صاح بها صوتُك أنْ تكونَ
فتضيءُ السماءُ وجهَهَا المحمرَ
بالخجلِ المعفرِ بالترابِ
حين ارتقى نُثارهُ الممزوجُ بأسرارِكَ
معانقاَ طيورَكَ البيضاءَ
وهي تصعدُ.. تصعدُ ... تصعدُ
وسيوفُهم تنزلُ في الصلاة عميقاً
تنزلُ .. تنزلُ ..حتى
يتزلزلُ الملكوتُ تنزلُ الملائكةُ
تصطخبُ المجرةُ بالصاعدينَ النازلينَ
فتنكرُ السيوفَ أغمادهُا مكسوةً
بريشِ الخديعةِ، بالدمِ
بانهيارِ منائرِ التكبيرِ
بذُكنةِ السحبِ الماطرةِ غلاً
وهي تُسبغُ قلبَ سبعينَ ألف ثقبٍ أسودَ
تاريخاً من لهاثِ الرملِ
خلفَ أحذيةِ الخليفةِ
وهي تسحقُ فراشاتِ رفيفِ همسِهم
فيستوونَ حجارةَ رجمٍ
لما بينَ الخيطِ الأبيضِ والأسودِ
ليسودَ رمادُ الحرائقِ التي
أشعلوها إذ استوى حقلُ السنابلِ
تحتَ ابتهالاتِ الشفاهِ ..
وكلما توضأ الترابُ وأستقامَ إلى الصلاةِ
بادلتِ الارضُ السّماءَ قميصها المطرزِ

بنجومِ الطعناتِ
واتكأتْ بغيرِ عَمَدٍ تُحصي ثقوبَ خناجرِهم
وهي توغلُ في خاصرةِ السّماء ...

لا يختلف هذا النص عن سابقه في الاتكاء على البعد الاستعاري للألفاظ ببناء الصور السريالية التي يبدع الشاعر في خلقها ويتعالى في تجديد فكرتها في رؤية تخييلية لصورة السماء بكواكبها ونجومها لتمثيل صورة جسد الحسين بعد أن اوغلت الرماح والسيوف والسهام في طعنه فصارت الثقوب التي صنعتها تلك الأسلحة نجوما وكواكب انعكست صورتها على صفحة السماء فيقول (وكلما توضأ الترابُ وأستقامَ إلى الصلاةِ – بادلتِ الارضُ السّماءَ قميصها المطرزِ – بنجومِ الطعناتِ – واتكأتْ بغيرِ عَمَدٍ تُحصي ثقوبَ خناجرِهم – وهي توغلُ في خاصرةِ السّماء ...)

ونخلص هنا الى أن التجديد في التعامل مع موتيف القضية الحسينية تحقق من خلال التطور اللغوي والأبعاد الاستعارية في صناعة اللوحة الشعرية، وهو خالٍ من التجديد الفكري خارج الأيديولوجيا الدينية.

الخاتمة والنتائج والتوصيات

يمكن أخيرا أن نلخص أبعاد موتيف القضية الحسينية في الشعر العربي القديم والحديث بالاتي:

- ننظر الى الموتيف في هذا البحث بوصفه الفكرة الرئيسة في الادب، او انه الموضوع او الحافز والباعث الذي يتكرر في الادب.
- عند فحص مناخات موتيف القضية الحسينية في الشعر العربي عموماً والموروث خاصة وجدناه يعتمد استدعاء الشعراءُ للروايةَ التاريخية لحادثة الطف الاليمة فيعيد انتاجها بصور شعرية مستوحاة من تلك الروايات.
- في شعر القرن التاسع عشر وما بعده، عند الشعراء العراقيين خاصة، نجد الموتيف يتمثّل المحكي الشفوي والحركي الفعلي الشعبي في المناسبات الدينية ومجالس العزاء العاشورائي والمواكب الراجلة التي تعيد تمثيل مباشر حركي او حكائي لحادثة قتل الحسين عليه السلام في البيئة العراقية. فتنبعث القضية الحسينية ببعدين رئيسين:

– في البعد الأول نجد الحوار المتخيل في خطاب موجه من الشاعر الى الذات الحسينية المقدسة على غرار ما فعل بعض الشعراء بحيث يتجسد المأثور الايديولوجي، الديني، القائل بحياة أبدية

للشهداء وذلك متأتٍ من العشق لشخص الحسين سبط النبي الاكرم عليهم السلام او من البعد الفكري المنطقي لقضية الفداء والثورة بشكل عام او الفداء لاجل العقيدة الايدولوجية الدينية.

- ثم ياتي المحور الآخر ليعرض قضية السير الجماعي لزيارة قبر الحسين عليه السلام ، الذي يصوره بعض الشعراء بأنه زحف مقدس، مع ذكر الصعاب التي يتحملها الزائر بهذا المسير، في أغلب الازمنة، مستوحياً ظلم السلطات وفعل المعارضين او اعداء قضية الحسين بكل ما يصنعونه من اذى لمن يحمل فكرة الانتماء الى القضية الحسينية، لان هذا التوجه اي الاصرار على تكرار المسير سنويا، يعني تحدٍ لجبروتهم وتنكيل بما يقومون به من محاولة طمس قضية الفداء التي جسدتها تضحية الحسين.

- قد تاتي موجات البث الشعري محملة بأشكال من الدوال الفنية منها استدعائها لحادثة التعدي على جسد الحسين عليه السلام بعد استشهاده وسلب ثيابه وما يملك وتحميلها فكرة التجاوز على المحتوى القدسي بما تستدعيه من طابع ديني مرتبط بوظيفة ايديولوجية من خلال استدعاء انتمائه لجده الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وقد لا تختلف اغلب النصوص عند الشعراء الايديولجيين المتدينين عن هذا المحتوى سوى في زيادة كمية الافصاح عن عشق المريد للحبيب الآخذ بيده إلى النجاة.
- تبين في البحث ان الشعراء غير الملتزمين دينيا قد يتوجهون الى استيحاء القضية من باب اخر هو البعد الانساني للحرية والتضحية في سبيلها الذي مثله موقف الحسين عليه السلام في مواجهة الظلم والاستبداد الذي يمثله الطغاة بدكتاتوريتهم وتماديهم في الطغيان والعنف على مر العصور.
- تبين من خلال هذا البحث ان موتيف القضية الحسينية في الشعر القديم كان يتمثل بالبعد الديني على الاغلب فهو المقدم في تمثلها، ويأتي البعد الأخلاقي بعده، فضلا عن البعد الثوري في شقين هما استنهاض الهمم للثورة على الظلم، والترجي بظهور الامام المهدي عجل الله فرجه .

اما في الشعر الحديث: فتأتي الثورة في وجه الظلم والمقاومة والصمود في طلب القضية والتضحية في سبيلها، فضلا عن اتخاذ موقف الحسين مثالا للتحدي وفضح الظالمين وفضح المرائين. ولا ينفي ذلك عن الشعر الحديث تمثل الأبعاد الأخرى التي تمثلها الشعر العربي القديم منها البعد الديني والاخلاقي والانساني والمأساة لكنها افتقرت الى قضية استنهاض الامام المهدي عجل الله فرجه.

- اشار البحث الى ان القضية الحسينية واستدعاء واقعة استشهاد الحسين خاصة لم تغب عن مخيلة الشعراء عبر عصور الامة الاسلامية في كل أقالمها ومناخاتها على الرغم من محاولة اعداء القضية، ممثلين بالسلطات المضادة، قمعها واقصاء شعرائها، ومنها ما اشرنا اليه في

الشعر الاندلسي على الرغم من ضيق الاشارة اليه في البحث وكذلك نشير الى الشعر في ظل الدولة الفاطمية او الدول الفاطمية في بلدان المغرب العربي وهو ما لم نخض فيه بسبب سعة الموضوع.

التوصيات:

بناء على ما تبين للنا من اهمية هذا الموضوع وبسبب كثرة ما وجدناه من شعر يتمثل القضية الحسينية بحيث يتضح فيها تمثل الموتيف فنيا وامكانية التدليل على بروز صوته الابداعية نوصي ان تقوم دراسات اخرى شاملة للشعر في عصوره ومناخاته الاقليمية والزمنية لدراسة هذا الموضوع من هذه الزاوية التي تتبع نمطا ممنها في البحث.

مراجع البحث ومصادره

1. أدونيس،1988م ، مجموعة مرايا وأحلام حول الزمان المكسور، ديوان المسرح والمرايا، بيروت، منشورات دار الآداب، .
2. الاسدي، الكميت ابن زيد، 1986م، شرح هاشميات ، بتفسير ابي رياش احمد بن ابراهيم القيسي، تحقيق الدكتور داود سلوم والدكتور نوري حمود القيسي، عالم الكتب مكتبة النهضة العربية بيروت، ط2،
3. إسماعيل، عز الدين،1972م،الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، دار العودة بيروت ، ط 2
4. الانباء العراقية ، وكالة / في: 1،12،2020قصة اكتشاف قبر الشاعر الكميت في ميسان، موقع الكتروني في: 1،12،2020،الرابط :https://www.ina.iq/117121--.html
5. بحر العلوم، محمد صالح ، 1969م، ديوان بحر العلوم، دار التضامن، بغداد،ج2.
6. بلاوي، رسول، و آباد، مرضية_،2013م، النهر والبحر في شعر يحيى السماوي، مجله العلوم الانسانيه الدولية سنة 2013م، العدد 20، مجلد 1
7. حسين، مؤيد عباس ، 2022م، ديوان تقاسيم على وتر المحبة، دار ومكتبة كلكامش ، بغداد، ط1 .
8. الحلي، السيد حيدر، 1950م، ديوان السيد حيدر الحلي الجزء الاول، نشره علي الخاقاني ، منشورات دار البيان، المطبعة الجديدة ، النجف ، ج1.

9. الحلي، السيد حيدر، 2011م، ديوان السيد حيدر الحلي ، تحقيق الدكتور مضر سليمان الحلي، جزء 1-2، منشورات شركة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ، ط1.
10. الحميري، السيد، 1999م، ديوان السيد الحمري ، شرحه وضبطه ضياء حسين الاعلمي، منشورات مؤسسه الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 1،
11. الخزاعي، دعبل، 1962م، ديوان دعبل بن علي الخزاعي ، حققه وقدم له عبد الصاحب الدجيلي الخزرجي، مطبعة الآداب، النجف.
12. خضري، علي _ و بلاوي، رسول_ و أمنة، أبكون، 2021م، الموتيف ودلالته في شعر الشاعر العراقي عدنان الصائغ – موتيف النافذة نموذجا، مجلة الباحث_المدرسة العليا للاساتذة الشيخ مبارك الميلي بوزريعة، جامعة خليج فارس بوشهر، ايران، مجلد 13،عدد ، 1، سنة2021
13. دنقل، امل، 2012م، الاعمال الكاملة ، ، دار الشروق، القاهرة، ط2،
14. الرضي، الشريف، 1995م، ديوان الشريف الرضي، شرح د. يوسف شكري فرحات، المجلد الاول جزء 1، دار الجيل، بيروت، ط1.
15. السياب، بدر شاكر، 1981م، ازهار ذابلة وقصائد مجهولة، تحقيق واعداد حسن توفيق ، المؤسسة العربية، ط1.
16. عبد العزيز، د محمد ، 2023م، مراثي الحسين في الشعر الاندلسي رؤية فنية ونقدية. / مجلة جامعة الازهر عدد 36، سنة 2023.
17. علوش، سعيد، 1985، معجم المصطلحات الادبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، ط1،
18. عموري، نعيم، 2015م، موتيف الامام الحسين عليه السلام في شعر فاروق جويدة، مجلة دراسات الكوفة ، جامعة الكوفة، سنة 2015، عدد37
19. قباني، نزار، د ت، قصلئد مغضوب عليها ، د ط.
20. كلاوبر ، فيرونيك، نمط شعري ، مقال ضمن الموسوعة العالمية الفرنسية،MOTIF poétique، /https://www.universalis.fr/encyclopedie/motif-poetique
21. الكميت، 2020م، قصة اكتشاف قبر الشاعر الكميت في ميسان، وكالة الانباء العراقية موقع الكتروني في: 2020/12/1،الرابط :https://www.ina.iq/117121--.html
22. الموسوعة العالمية،2020م، Encyclopedia Universalis،/ 26-7-2020.
23. النواب، مظفر، 2019م، في الوقوف بين السماوات ورأس الحسين، الحوار المتمدن-العدد: 6395 - 31 /10/ 2019 / - 00:48،/https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=654202

24. الهراس، د عبد السلام، 1978م ، مأساة الحسين في الادب الاندلسي ، مجلة المناهل، عدد12، سنة 1978م ، وزارة الشؤون الثقافية المغرب.
25. الوائلي، د ت، ديوان الشعر الواله في النبي وآله، الدكتور الشيخ احمد الوائلي، دار الزهراء، بيروت ، د ت، د ط
26. يوسف، سعد ياسين، 2012 شجر الأنبياء (مجموعة شعرية)، دار الينابيع، دمشق
27. يوسف، سعد ياسين، 2018م، أشجار لاهثة في العراء(مجموعة شعرية) دار أمل الجديد، دمشق